نجيب جورج عوض

ما بعد الحداثة

ومستقبل الخطاب الديني في الغرب

أنطولوجيا «شخص» و«علاقة» أنموذجاً

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث

نجيب جورج عوض

ما بعد الحداثة ومستقبل الخطاب الديني في الغرب

أنطولوجية «شخص» و«علاقة» أنموذجاً

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث

المحتوى

توطِئة 7

مقدمة 11

الفصل الأول: فكرة الشخصانية في فضاء الخطاب الديني الخاص بعصر الحداثة 27

I- عن فكرة «شخص» ومفهوم الذات الفاعلة 27

1) مفهوم «شخص» وفكرة الله في فكر الحداثة 31

2) طرح اللاهوت الوجودي حول مفهوم الذات الفاعلة 40

3) مفهوم الذات الفاعلة في اللاهوت الكشفي 48

II- عن فهمٍ ميتافيزيقي بديل لمفهوم «شخص» 55

1) فكرة التداخل المتبادل وعلاقة الذات بالموضوع في خطاب الميتافيزيقا الأنطولوجي 58

2) خطاب أنطولوجي عن شخصانية الله المتفردة 67

3) الشخصانية والخطاب الديني عن الله 71

الفصل الثاني: من «شخص» إلى «حِراك» - اللاهوت والإنكار ما بعد الحداثوي لمفهوم الذات الفردية 75

I- مفهوما «شخص» و«علاقة» في فكر ما بعد الحداثة 75

1) مبدأ «التشارك المتبادل» الفلسفي العام 82

2) مبدأ التشارك والعلاقاتيّة في الخطاب اللاهوتي 92

II- مفهوم «العلاقة» وعقيدة الله ما بعد الحداثوية 98
1) بول فيدس ومفاهيم التشارك والعلاقاتية في إطار الحضور التاريخي 101
2) مفهوم «علاقة» المدرسي ولاهوت توما الأكويني 112
3) ميتافيزيقا لاهوتية عن مفهوم التشارك 124
III- العلاقة مع الآخر كـ «آخر» 135
الفصل الثالث: نحو تمييز لاهوتي بين «شخص» و«علاقة» 143
I- الله الأزلي والله التاريخي: إعادة نظر في خطاب لاهوتي 143
II- تجاوز مبدأ كارل رانر اللاهوتي وتوسيع حدوده 150
1) عقيدة الله ومبدأ «تمييز-الذات» الأنطولوجي 158
2) بين الشخصانية والأفعال: حقيقة الخطيئة وإمكانية الاشتراك بالله 177
III- ملاحظات ختامية: نحو تصويب لاهوتي 196
الفصل الرابع: ما بعد الحداثة ومستقبل البحث اللاهوتي والخطاب الديني 199
I- مقدمة 199
II- الخطاب الديني والفضاء ما بعد الحداثوي: السياق 204
III- تكييف أم مشروطية لاهوتية؟ مشروع إعادة التأطير 208
IV- اللاهوت ما بعد الليبرالي وحالة ما بعد الحداثة 221
1) هانز فراي وحدود العلاقة التبادلية 221
2) فرانسيس واتسن والحدود الشرعية بين الحقول العلمية 232
V- العلاقاتية التبادلية وعقيدة الله 242
خاتمة: عندما يقف الدين في قلب التاريخ 253
المراجع المستخدمة 259
الفهرس 271

توطِئة

في موسم (2007–2008م)، دُعيتُ من قِبَل مركز ييل للإيمان والثقافة (Yale Center for Faith and Culture)، في كلية الدراسات اللاهوتية في جامعة ييل (كونيكتكت، الولايات المتحدة الأمريكية)، كي أقضي عاماً أكاديمياً هناك باحثاً زائراً. وقد أمضيت تلك السنة الرائعة والغزيرة بالمعرفة والخبرة البحثية العلمية في العمل على كتابة دراسة علمية بي - حقلية (interdisciplinary) عن علاقة علم الدراسات الدينية (اللاهوت المسيحي تحديداً) بباقي حقول المعرفة العلمية غير الدينية في الغرب في سياق التطور الفكري والثقافي والمعرفي، الذي شهده العالم الغربي حين انتقل من مرحلة الحداثة إلى مرحلة ما بعد الحداثة.

بعد إنهاء عامي باحثاً زائراً في جامعة ييل، واظبت على إنهاء كتابة ذاك المشروع البحثي في ألمانيا ما بين عامي (2010 و2012م)، حين كنت أعمل هناك محاضراً في اللاهوت النظامي التثاقفي والسياقي (Systematic Intercultural and Contextual Theology) في برنامج «ماجستير» حول هذا الحقل في جامعة غوتنغن، ومدرسة اللاهوت التثاقفي في هرمانسبورغ. وكنت كذلك أعمل على أطروحة درجة «الدكتوراه» الثانية في اللاهوت التاريخي المشرقي العربي/علم الكلام المسيحي - الإسلامي في العصر الإسلامي المبكر للحصول على درجة «بروفسور جامعي» في جامعتي مونستر وماربورغ. عملت على إنهاء بحثي الذي بدأته في جامعة ييل على التوازي مع عملي

التعليمي والبحثي في ألمانيا. وقد أنهيتُ العمل على تلك الدراسة، ونشرتْها لي دار النشر الأمريكية (Fortress Press) كتاباً بعنوان (**أشخاص في علاقة: مقالات في علم الأنطولوجيا وعقيدة الثالوث**) (Persons in Relation: An Essay on the Trinity and Ontology). كان ذلك عام (2014م)، بعد أن انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتبوّؤ منصب بروفسور اللاهوت المسيحي المشارك، ومدير برنامج الدراسات العليا في كلية هارتفرد للدراسات الدينية والبي - دينية في ولاية كونكتكت، الولايات المتحدة الأمريكية.

بعد صدور الكتاب المذكور تلقيت الكثير من التساؤلات من الأصدقاء والمتابعين العرب المهتمين بالفكر الثقافي والديني والمعرفي الغربي عمّا إذا كان من الممكن ترجمة كتابي من الإنكليزية إلى العربية، كي يتمكن القارئ العربي من الاطلاع عليه، والاستفادة منه. راقت تلك الفكرة لي، وشغلت تفكيري لفترة ليست بالقصيرة. إلا أنني قررت أن لا أقوم بمجرّد ترجمة النص الإنكليزي حرفياً إلى اللغة العربية؛ بل أن أقوم بإعداد نسخة عربية منقّحة ومعدَّلة عن الدراسة المذكورة تعيد تقديم أطروحة النسخة الإنكليزية بصورة مناسبة لمخاطبة الشارع العربي، وتأخذ في الاعتبار مسألة تقديم تطورات معرفية وعلمية من خارج هذا الشارع وفضاء وجود ذاك القارئ بغية تعريفه بتطورات بنيوية وجوهرية مفاهيمية ومنهجية عميقة ومحورية حدثت في الفضاء الفكري والثقافي العلمي الغربي في القرنين المنصرمين، وأدّت إلى وصول الأكاديميا الغربية الدينية واللاهوتية اليوم إلى ما وصلت إليه من تداعيات وتطورات، قد لا يكون القارئ العربي مطلعاً عليها، أو قد لا تكون مألوفة له؛ لأنّ السياق العربي لم يَعبُر تلك الرحلة التاريخية المعرفية نفسها، ولم يشهد بَعدُ انتقالاً من عصر حداثة إلى عصر ما بعد حداثة.

يسرّني أن أقدّم للقارئ العربي في كتابي (**ما بعد الحداثة ومستقبل الخطاب الديني في الغرب: أنطولوجيا «شخص» و«علاقة» أنموذجاً**) نسخة

عربية منقّحة ومُعدَّلة عن أطروحتي العلمية في كتابي الإنكليزي الأوسع، والنسخة الأولى المعدة للقارئ الغربي من كتابي (**أشخاص في علاقة**)، الذي نشرته في الولايات المتحدة الأمريكية في عام (2014م). حرصت في هذه النسخة العربية على أن أحافظ على البنية الأساسية الناظمة لأطروحة دراستي المذكورة، ولبنيانها المنهجي والتحليلي، فأيّ مسٍّ بتلك الأخيرة سيقوّض دعائم الأطروحة وبنيانها النظري ويفككها من الداخل. لذا كان لا بد من الحفاظ على هذا في النسخة العربية المعدلة. إلا أنني، انطلاقاً من إدراكي سياقَ الفكر والثقافة العربيين، آثرت أن أتحدث في النسخة العربية عن الخطاب الديني العام، وليس الخطاب اللاهوتي الضيق والإيماني الكنسي فقط، فالخطاب المعرفي المسيحي، جزءاً من خطاب ديني أوسع منه ويحتوي عليه، هو ما يوجد في الساحة العربية في الواقع.

إنني آمل في هذه الدراسة أن أعرِّض القارئ العربي إلى تطوّرات وإرهاصات متشابكة وعميقة تعرّض لها الخطاب الديني في العالم الغربي؛ بغية دعوة القارئ العربي إلى تصور علاقات وإرهاصات وسيرورات مماثلة للخطاب الديني في العالم العربي أيضاً بشكلٍ يعمل على دعوة هذا الخطاب إلى التفاعل بشكل منفتح وعميق وجريء مع حقول المعرفة العلمية اللادينية، ويسعى إلى تشجيع هذا الخطاب في العالم العربي على تجديد نفسه بنفسه من داخل فضائه الفكري والمنهجي الخاص به، وفي ضوء تفاعله وحواره مع حقول المعرفة الأخرى، كيما يتطور الخطاب الديني، ويخرج من قروسطيته وما قبل حداثته، التي يغرق فيها في العالم العربي المعاصر، للأسف الشديد.

أرجو بصدق أن يجد القارئ العربي الجاد والمهتم والمنفتح عقلياً في مساهمتي النصيّة المتواضعة هذه فائدةً ودعوةً صادقة للاطلاع على تطوّرات المعرفة في العالم المعاصر حولنا، ومحاولةً لبلورة فهم هذا القارئ لمفهومين مهمين جداً في بنية فهمنا لإنسانيتنا وفكرنا وعلاقتنا بالعالم وبالآخر، معرفياً أو وجودياً، ألا وهما مفهومي «علاقة» و«شخص»؛ لأنَّ فهمهما يقدّم لنا

أنموذج تواصل مبدئيّ ومقياسي يمكن البناء عليه في تطوير فهمٍ موازٍ لماهية العلاقة المطلوبة بين الخطاب الديني وباقي الخطابات المعرفية والثقافية اللادينية أيضاً. هذان المفهومان هما على الأقل مفتاحان من مفاتيح التفكيكي الهرمينوطيقي لماهيّة فهم العالم الغربي للعلاقة بين الخطاب الديني وباقي حقول المعرفة اللادينية على الأقل.

أتوجه في هذه التوطئة بالشكر الجزيل إلى دار النشر الأمريكية (Fortress Press) التي سمحت لي، بل شجعتني على تطوير هذه النسخة وإتاحتها للقارئ العربي. أقدر للدار المذكورة تشجيعها لي على فعل هذا، وحرصها على أن يطّلع العالم العربي على دراستي وخلاصاتها، فتكون فرصة له للاطلاع على رُكب الحراك المعرفي والفكري العالمي ولمحاولة الانخراط فيه. أودّ أيضاً أن أتوجّه بالشكر الجزيل إلى (مؤسسة مؤمنون بلا حدود) وفريقها التحريري والعلمي الرصين والمحترم لقبولهم نشرَ مخطوطي العربي هذا، واستقبالهم له بإيجابيّة وترحاب. كما أتوجّه بالشكر إلى الأصدقاء كافةً والمتابعين الذين شجّعوني على تطوير تلك النسخة العربية، ودعوني إلى أخذ إمكانيّة إنتاجها في الاعتبار. وفي النهاية، أتطلّع بصدق إلى أن يستفيد القارئ العربي من دراستي المتواضعة هذه قدر الإمكان، وإن وجد فيها مثالب وهفوات فأرجو طول أناته وصبره علي، فأنا وحدي من يتحمّل مسؤوليّتها.

بروفسور دكتور نجيب جورج عوض

هارتفرد، أمريكا، 2017م

مقدمة

تدرك الجماعة الدينية طبيعتها التاريخية، وتقرّ هذا بشكل مبادئي وصريح، وإن كانت لا تميل إلى اختزال الوجه اللاهوتي لتلك الطبيعة بحيثيات الوجود في التاريخ. وتعتقد جماعة الإيمان الديني بأنَّ خطابها الديني عن الله، الذي تعلنه مثلاً رباً ومخلصاً للعالم أجمع، ما هو إلا خبر موجَّه إلى العالم كخطاب يؤدّي التاريخ فيه بحوامله اللغوية، وأبعاده السياقية، ومعطياته الثقافية، دوراً بنيوياً، فيكوِّن مفردات هذا الخطاب، ويرسم ملامح عرضه. من هنا، إنَّ الجماعة الدينية في الأديان الإبراهيمية ذات حضور وهوية تاريخيين، وهي تؤدّي دور حضور بشري ديني في التاريخ ولأجل التاريخ في الوقت نفسه. وهي ترى في كلّ ما تعتقد به وتدّعيه خطاباً روحانياً وعقلانياً مرتبطاً بحيثيات الزمان والمكان، وتقرُّ بالحاجة الدائمة إلى إعادة طرح الخطاب نفسه بلغة مفهومة وذات معنى مُدرَك للعصر الذي تقدم فيه خطابها اللاهوتي المذكور.

لقد منح كلٌّ من الطبيعة التاريخية للجماعة الدينية ورسالتها، من جهة، والاعتقاد بالدور التاريخي لإله تلك الجماعة ذاته، من جهة أخرى، اللاهوتيين عبر التاريخ حساسيةً خاصةً لا شك فيها تجاه السياق الزمني الذي عاشوا فيه، وعزّزَ عندهم أهمية إدراك تلك الأبعاد وإرهاصاتها، والتطرق إليها جزءاً من خطابهم الديني. كما دفعهم إلى الاستفادة من أدوات هذا السياق المذكور، أياً كان، الثقافية والفكرية المتعددة الأوجه، في عملية

شهد الثلث الأخير من القرن العشرين ولادة ظاهرة معرفية تدعى «حالة ما بعد الحداثة»، وهي تمتدّ بسرعة وتهيمن على المشهد الثقافي الغربي.

أمام هذه الظاهرة المعرفية يجد اللاهوتيون أنفسهم في مواجهة مع عدة تساؤلات:

أَهناك تعريف لما بعد الحداثة؟ أَتشكل حالة ما بعد الحداثة قطيعة معرفية مع الحداثة أم أنها امتداد منقَّح للحداثة؟ ما طبيعة العلاقة التي يجب أن يقيمها اللاهوت مع ما بعد الحداثة؟ أَعلى الخطاب الديني أن يكون تابعاً لحقول ومنهجيات المعرفة، أم يجب أن يؤدي دور القائد لها؟ أَعلى الخطاب الديني أن يؤمّن للفكر الإنساني العلمي العام المبررات المعرفية الداعمة والمشرعنة له، أم على هذا الخطاب أن يتحدى طروحات هذا الفكر قلباً وقالباً وبلا أيّ تحفظات من زاوية الإيمان الديني بحقيقة مطلقة خارجية قائمة في ذاتها، اسمها الله؟ كيف يجب على الخطاب الديني أن ينظر إلى بعض التفاسير المعاصرة لمفهوم الشخصانية؟

هناك تحدٍّ أمام الخطاب الديني في كلّ الأديان في السنوات القادمة، بدأ اللاهوت المسيحي يدركه ويواجهه بجدية في الغرب. كما بيّن المؤلف أنَّ العلاقة التداخلية المتبادلة بين الخطاب الديني وحقول المعرفة ما بعد الحداثوية أمر ممكن، وأنَّ وجود مثل هذه العلاقة ليس مجرد استراتيجية نجاة وحفاظ على الوجود، بل يمكن لهذا التفاعل التبادلي أن يصبح وسيلة انفتاح إيماني ديناميكي على العالم.

نجيب جورج عوض: باحث سوري متخصص في اللاهوت المسيحي

ISBN 978-614-8030-51-2

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للنشر والتوزيع